

معرفة القرآن الكريم

محمد رضا الحكيمي ، محمد الحكيمي ، علي الحكيمي

أستاذة في الحوزة العلمية

مؤلفو كتاب «الحياة»، السادة آل الحكيمي، من أفاضل علمائنا الأجلاء الذين وقفوا حياتهم على إعلاء شأن الدين، وحسبهم كتاب «الحياة» بجزائه العديدة موسوعة علمية دينية تاريخية، والمقال التالي نموذج جيد لما تقرؤه في كتاب «الحياة» عن «الباب السادس» منه، إن الله تعالى: (... أراد أن يخاطب أبناء آدم (ع) وينزل إليهم كلامه، ويربيهم على أيدي أنبيائه ورسله وأوصيائهم بالعلم الإلهي والمعرفة الحاكمة السماوية...).

إن أمامنا الآن موضوعين مهمين، يمتدان إلى الإنسان وحياته بصلةٍ وشديدة، وينبعان من كامل الواقع الإلهي، وصيم الوعي الإنساني للالتزام والتكليف، والمواضيعان هما تعاظم معرفة القرآن الكريم من جهة، وضرورة الاهتداء به من جهة أخرى، ونحن نعمد هنا لشيء من التوضيح لهذا البحث المهم فنقول: لقد برزت النبوات الإلهية لإنقاذ الإنسان وإسعاده، وإعطاء مضمونٍ لحياته، ورسم غاية متعلالية لكده المرير في الحياة الدنيا، فجاء الانبياء إلى أقوامهم بلغوا شرائع الله تعالى، وأرشدوا الناس وعلّموهم، وأسسوا الحضارات الدينية بأيديهم، حتى انتهى الدور إلى النبوة الخاتمة المحمدية، ونزل القرآن الكريم، وجعله في متناول الإنسان في مختلف أقطار الأرض من مشارقها

لعل القرآن الكريم، بما هو كتاب سماويٌ تُنزل من عالم القدس الإلهي، لاتصل عقول الناس إلى معرفته معرفةً تتناسب و شأنه، وتكتشف عن جميع آفاقه وأعمقه في علم ووضوح؛ كما لا يعلم تأويله ومقاصده غير الظاهرة، إلا الله والراشدون في العلم، وهذا أمر لا ينبغي أن نغفل عنه، إلا أنه كتاب هداية وإرشاد وبناء، وكتاب تدبّر واهتداء ووعي، لذلك أنزل على الرسول العظيم (ص) الذي يفهمه الناس ويتدبرونه، ويعملوا به، ويسيروا على هديه، ويربوا الفرد والمجتمع على منهاجه، حتى يتسمى للبشرية الوصول إلى العيش، في مجتمع قرآني، يعمل الحاكمون فيه بالعدل، ويقوم الناس فيه بالقسط، ولا سبيل إلى الرشد المنشود للإنسان، إلا في ذلك المجتمع، العادل حكمه، القاسط إنسانه.

فبناء على ذلك، كان هناك حادثان مهمان في حياة الإنسان على مدى الأجيال والأحقبات:

- ١ - نزول الوحي وبدوره.
- ٢ - انقطاع الوحي وختمه.

والحادث الثاني لا يقلّ عظماً وأهمية من الحادث الأول - كما سلف القول - فانقطاع نور الوحي عن هذا العالم المظلم والإنسان الحيران فيه، المحتاج دوماً إلى مذكرٍ إلهي ومعلم رباني، لا يعدّ أمراً بسيطاً لا يستنسخ أي شيء، إن الإنسان لا يستغني عن هذه الرشدة الصراط الألاّب، ويعلمه مغاري الكتاب الإلهي ويحصدده في صنع الفرد والمجتمع. بعد أن مضى النبي الخاتم صلوات الله عليه عليهما السلام على الحاجة إلى ما جاء في الكتاب ونحو سجني زمانه التبييني أو التجسيدي. وكذلك سائر المعارف الربانية، وهي تنتظر أزمان الوعي الإنساني المختلفة.

فمن هنا وهناك، يقوم الأوصياء أبناء آدم دورهم، جذب مثابرين على تربية الإنسان وتعليمه، حقيقة بعد حقيقة، في ضوء علوم حقيقة، ربانية و خاصة، وعموه عن النبي العظيم الذي جاء بكتاب عظيم، لأمر عظيم، وخطبه وحي السماء إلى الأرض.

لقد وقع في الأدوار الإنسانية، في مختلف البلدان والأقاليم، اختلافات كثيرة وكبيرة، في درك المعرفة النظرية، والمقاييس العملية، والسنن المعيشية، والتحصي الفكرية المتضاربة، والفلسفات البشرية المتنافرة والمتعارضة، والعرفانات المحسوبة المختلفة، وتشاجرت الأمم في فقه كتبهم السمدوية واستتبعت القضايا الدينية منها والدنيوية، وكذلك ظهر ما ظهر من الخلام الفاحش الطوبي، والفساد المترامي الأطراف، طوال التاريخ الإنساني المرير؛ وكل ذلك يدلّ على أنَّ الإنساني برغم وجود كتاب الله بين أيديهم فلاته يحتاجون أشد الاحتياج بعد محسبي النبي المبعوث إليهم - إلى صرّب رباني يسأله المبعثون، في روحه وعقله.

إلى المغارب.

فححدث عند ظهور أصل النبوة حادث عظيم، في غاية العظمّة حقّاً، وهو بداء نزول الوحي السماوي إلى الأرض، فلم يكن هذا الحادث الكبير أمراً بسيطاً عادياً كالحوادث العاديّة التي لا أهمية لها، وهذه حقيقة مهمة لا يسع الإنسان الوعي أن يدعها منسية في زاوية الغاضبي والإهمال، لقد أوحى الله الجليل المتعال إلى الإنسان، فما هي مغاري الوحي الإلهي وما هي غايته؟

ولم يكن الأمر بأقل من ذلك أهمية عند ختم الوحي وإنقطاعه، فهو أيضاً لم يكن أمراً بسيطاً قليلاً الأهمية، إنَّ بدء الوحي كان أهم ما وقع على الأرض من الحوادث الجسام، بل إنه أهمها كلها، فقد اتصلت الأرض بالسماء، وأشرقت بأنوار الحقيقة الأزلية، وتعالت الإنسانية بالخطاب الإلهي، وتاحت الفرصة للإنسان لأن يستفيد من العلم النازل إليه من صدق الواقع السرمدي من خالقه وبарь كيانه... وصار كليما له بالمعنى العام، إنه أراد أن يخاطب أبناء آدم (عليه السلام) وينزل إليهم كلامه، ويربيهم على أيدي أنبيائه ورسله وأوصيائهم، بالعلم الإلهي والمعرفة الحالة السماوية، ويرشدهم إلى أصح سلوك فردي أو اجتماعي ينبع للإنسان الوصول إليه، وإلقاء به إلى أقصى الغايات الممكنة لأبناء آدم (عليه السلام) أن يبلغوها.

لقد تجلّى الله تعالى لخلقه في كلامه... وهل يعادل هذا الأمر العظيم شيء؟ أو هل يماثله أمر؟ كذلك كان ختم الوحي وإنقطاعه، فهو أيضاً أمر لا يقلّ عظمة وأهمية من الأمر الأول، إذ لا يمكن أن يصبح ختم النبوة وإنصرام الوحي عن الأرض وإنسانها أمراً بسيطاً بلا كبير أهمية ولا استبعاد، ذلك لأنَّ ختم الوحي يؤذن ببلوغه الكمال من حيث التنزيل والتعليم، وظهور دور الوصاية الحاملة لعلوم الوحي، الموكول إليها أمر التنزيل من حيث التبيين والتجسيد.

بـعـائـهـ مـدىـ الـأـجـيـالـ وـفـيـ الـفـتـرـاتـ وـالـأـحـقـابـ، وـلـاـ سـيـماـ بـعـدـ أـنـ كـانـتـ النـبـوـةـ خـاتـمـةـ، إـذـ يـنـقـطـعـ بـخـتـمـهـ الـوـحـيـ الـنـازـلـ، فـبـعـدـ النـبـيـ الـخـاتـمـ لـابـدـ مـنـ عـالـمـ بـالـوـحـيـ الـمـحـمـدـيـ عـاـمـلـ بـهـ، يـتـقـنـهـ بـحـافـيرـهـ، وـيـسـتوـعـ عـلـمـهـ، وـيـجـسـدـ عـلـمـهـ بـهـ.

وـهـذـاـ هـوـ الـذـيـ يـحـكـمـ بـهـ الـعـقـلـ وـيـفـرـضـهـ، فـتـرـكـيـةـ الـنـاسـ وـتـعـلـيمـهـ الـكـتـابـ وـالـحـكـمـةـ لـاـ يـمـكـنـ اـنـقـطـاعـهـمـاـ عـنـ الـمـجـمـعـ الـبـشـرـيـ أـبـدـاـ، لـأـنـ الـنـاسـ يـكـونـونـ بـحـاجـةـ يـهـمـاـ، فـرـدـاـ فـرـدـاـ وـنـسـلـاـ بـعـدـ نـسـلـ.

وـمـنـ هـنـاـ نـتـنـقلـ إـلـىـ أـنـ الـذـيـ يـخـلـفـ النـبـيـ وـيـحـمـلـ أـعـبـاءـ الـوـصـاـيـةـ، لـابـدـ مـنـ أـنـ يـمـاثـلـ النـبـيـ (صـ)ـ فـيـ الـجـوـهـرـ الـرـوـحـيـ وـالـمـزـاجـ الـعـقـلـيـ، وـلـاـ يـمـاثـلـ هـذـهـ الـمـمـاثـلـةـ، إـلـاـ مـنـ تـرـبـيـتـ عـنـدـهـ مـنـ أـوـلـ آـيـاتـ الـوـحـيـ وـآـيـاتـ الـنـبـوـةـ، فـعـلـمـ مـاـ عـلـمـ وـعـلـمـ بـمـاـ عـلـمـ. وـلـقـدـ وـرـدـتـ بـصـدـدـ ماـ قـلـنـاهـ - بـعـدـ حـكـمـ الـعـقـلـ وـالـتـجـرـبـةـ الـإـسـلـامـيـةـ - أـحـادـيـثـ كـثـيرـةـ وـمـعـتـبـرـةـ، رـوـاـهـاـ عـلـمـاءـ إـلـسـلـامـ مـنـ أـهـلـ السـنـةـ وـالـشـيـعـةـ، فـيـ كـتـبـهـ الـمـعـتـمـدةـ وـأـصـوـلـهـمـ الـقـوـيـةـ، فـلـاـ حـاجـةـ لـذـكـرـهـاـ.

وـهـذـاـ الـبـحـثـ الـمـقـتـضـبـ الـذـيـ قـدـمـنـاهـ لـلـقـرـاءـ الـأـعـزـاءـ، يـوـقـنـنـاـ بـوـضـوـحـ وـحـسـمـ، عـلـىـ أـهـمـيـةـ مـعـرـفـتـيـنـ، وـضـرـورـةـ وـعـيـهـمـاـ النـاضـيـ، وـدـوـرـهـمـاـ الـحـاسـمـ:

١ - مـعـرـفـةـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ بـأـبعـادـهـ فـيـ الـعـلـمـ، وـأـفـاقـهـ فـيـ الـعـلـمـ، وـغـايـاتـهـ السـامـيـةـ فـيـ صـنـعـ الـفـرـدـ وـالـمـجـمـعـ.

٢ - مـعـرـفـةـ مـعـلـمـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ، يـعـنيـ مـنـ يـنـعـلمـ وـيـعـلـمـهـ، وـيـعـمـلـ بـهـ وـيـجـسـدـهـ، فـهـوـ رـبـانـ الـأـمـةـ، وـوـصـيـ الـنـبـيـ (صـ)، وـتـرـجـمـانـ الـقـرـآنـ. وـعـلـىـ الـأـمـةـ أـنـ تـعـرـفـ رـبـانـهـاـ، وـوـصـيـ نـبـيـهـاـ، وـتـرـجـمـانـ كـتـابـهـاـ. نـعـمـ، لـاـ هـدـاـيـةـ بـلـاـ قـرـآنـ يـعـملـ بـهـ، وـلـاـ قـرـآنـ بـلـاـ وـعـيـ يـنـبعـ مـنـهـ.

وـلـأـجلـ ذـلـكـ يـعـيـنـهـ تـصـدـىـ الرـسـولـ الـعـظـيمـ لـبـيـانـ هـذـاـ الـأـمـرـ الـبـيـانـ فـيـ حـيـاةـ الـأـمـةـ، يـعـنيـ بـيـانـ الـقـرـآنـ وـتـعـرـيفـ تـرـجـمـانـهـ، حـتـىـ لـاـ تـبـقـيـ الـأـمـةـ بـعـدـهـ بـلـاـ عـلـمـ هـادـ، وـمـرـجـعـ

وـعـلـمـهـ وـهـدـيـهـ، وـرـشـدـهـ وـسـمـتـهـ، وـبـلـاغـهـ وـنـهـجـهـ، يـعـرـفـهـ ذـلـكـ الـمـبـعـوثـ وـيـنـصـبـهـ عـلـمـاـ هـادـيـاـ، وـقـائـدـاـ صـادـقـاـ، وـإـمامـاـ عـادـلـاـ، مـخـالـفـاـ لـهـوـادـ. حـابـسـاـ نـفـسـهـ عـلـىـ كـتـابـ اللهـ تـعـالـيـ، عـالـمـاـ بـكـلـهـ، عـامـلـاـ بـمـاـ فـيـهـ قـيـدـ الـذـرـةـ، نـاـشـرـاـ لـتـعـالـيـهـ خـالـصـةـ، وـمـجـسـداـ لـأـنـسـهـ الـعـمـلـيـةـ أـدـقـ تـجـسـيدـ. حـتـىـ تـبـقـيـ آـثـارـ الـهـدـاـيـةـ الـنـبـوـيـةـ مـاـثـلـةـ عـلـىـ أـسـاسـهـ الـأـوـلـ

وـنـظـامـهـ الـمـنـشـودـ؛ وـبـدـوـمـ رـنـينـ ذـلـكـ الصـوتـ الـإـلـهـيـ فـيـ

أـذـانـ الـبـشـرـيـةـ، إـلـىـ أـنـ يـرـثـ اللهـ الـأـرـضـ وـمـاـ عـلـيـهـ.

لـذـلـكـ أـشـارـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ إـلـىـ أـصـلـ الـوـصـاـيـةـ فـيـ مـعـرـضـ بـيـانـ حـيـاةـ الـأـنـبـيـاءـ وـأـدـوـارـ الـنـبـوـاتـ،^٣ وـالـوـصـاـيـةـ تـعـنـيـ أـنـ يـنـوـبـ عـنـ النـبـيـ الـمـبـعـوثـ رـجـلـ مـنـهـ **﴿وَاجـعـلـ لـيـ وزـيـراـ مـنـ أـهـلـيـ﴾**^٤ هـارـونـ أـخـيـ **﴿هـ﴾**^٥. لـأـنـهـ هـوـ الـذـيـ نـمـاـ عـلـىـ هـدـيـهـ الـإـلـهـيـ بـالـذـاتـ، فـوـرـثـ عـلـمـهـ بـلـاـ أـيـ جـهـلـ، وـعـمـلـهـ بـلـاـ أـيـ غـتـورـ، وـعـدـلـهـ بـلـاـ أـيـ ظـلـمـ، وـحـنـانـهـ لـلـإـنـسـانـ وـالـإـنـسـانـيـةـ بـلـاـ أـيـ شـذـوذـ، وـاصـلـاحـهـ الـبـشـرـيـةـ بـلـاـ أـيـ تـوـانـ، وـقـيـامـهـ بـالـقـسـطـ بـلـاـ أـيـ إـهـمـالـ وـلـوـ لـلـحظـةـ...

هـذـاـ هـوـ الـوـصـيـ الـذـيـ يـحـبـ أـنـ يـخـلـفـ النـبـيـ (صـ)ـ فـيـ الـأـمـةـ، فـالـوـصـيـ لـاـ يـمـكـنـ أـنـ يـكـونـ إـنـسـانـاـ عـادـيـاـ، يـخـتـارـهـ النـاسـ الـعـادـيـوـنـ، كـمـاـ أـنـ النـبـيـ لـاـ يـمـكـنـ أـنـ يـكـونـ إـنـسـانـاـ عـادـيـاـ، يـخـتـارـهـ النـاسـ الـعـادـيـوـنـ، بـلـ يـخـتـارـهـ اللهـ تـعـالـيـ وـيـصـطـنـعـهـ لـنـفـسـهـ فـيـعـيـثـهـ، كـمـاـ قـالـ تـعـالـيـ عـنـ النـبـيـ مـوـسـىـ بـنـ عـمـرـانـ: **﴿وَأـصـطـعـتـكـ لـنـفـيـ﴾**^٦: وـكـمـاـ هـوـ ظـاهـرـ مـنـ خـطـابـاتـ اللهـ تـعـالـيـ لـنـبـيـ الـعـظـيمـ، فـيـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ، وـكـمـاـ جـاءـ فـيـ أـحـادـيـثـ مـعـتـبـرـةـ رـوـاـهـاـ الـفـرـيقـانـ، تـدـلـلـ عـلـىـ اـخـتـيـارـ اللهـ تـعـالـيـ وـاـصـطـفـانـهـ لـلـنـبـيـ (صـ)ـ وـأـوـصـيـانـهـ وـمـنـ يـنـبـغـيـ أـنـ يـلـحـقـ بـهـ وـيـنـوـبـ عـنـهـ فـيـ بـثـ كـتـابـهـ فـيـ النـاسـ، وـعـلـمـهـ بـلـاـ أـيـ تـرـكـيـتـهـمـ وـتـعـلـيمـهـمـ الـكـتـابـ وـالـحـكـمـةـ الـسـمـاـوـيـيـنـ.

فـالـوـصـاـيـةـ وـدـيـعـةـ الـنـبـوـةـ، كـمـاـ أـنـ النـبـوـةـ وـدـيـعـةـ اللهـ تـعـالـيـ؛ فـالـنـبـيـ مـبـعـوثـ، لـأـداءـ الرـسـالـةـ، وـوـصـيـ الـنـبـيـ مـنـصـوبـ مـنـ جـانـبـ الـنـبـيـ - بـإـذـنـ اللهـ تـعـالـيـ - لـبـقـاءـ الرـسـالـةـ هـذـاـ هـوـ لـبـ حـكـمـ الـنـبـوـةـ وـالـتـشـرـيـعـ الـإـلـهـيـ وـسـرـ

جعل فينا الحكمة أهل البيت... وتميزوا بذلك عن بقية العلماء، لأن الله أذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيرًا... وفي أحاديث الحُث على التمسك بأهل البيت اشارة إلى عدم انقطاع متأهّل منهم للتمسّك به إلى يوم القيمة، كما أنَ الكتاب العزيز كذلك... ثمَّ أحقر من أن تمسّك به منهم، إمامُهم وعاليُّهم عليٌّ بن أبي طالب - كرم الله وجهه - لم قدمناه من مزيد علمه و دقائق مستنبطاته... وقد جُبِت الوصيَّة الصريحة بهم في عدَّة أحاديث، منها حديث «إني تاركُ فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلُّوا بعدِي: الثقلين...»^(١).

فعلى ما جاء في النص النبوى المتواتر، تصبح الهداية القرآنية النابعة من هذا الكتاب السماوى أمرًا ذات إطارٍ محدَّد، لا يتطرقُ إليه تضاربُ الآراء، ولا تُطمس مفازيه اختلاف الأنظار، ولا يصرفها عن حقائقها التشاجر الفلسفى أو التأويل العرفانى. والهداية المحددة المشار إليها هي التي لا تؤخذ إلا من أوصياء النبي (ص) ووراث الكتاب وعلمه، وخرزان حقائقه وأبواب هديه.

ولو أخذت الأمة بذلك ل كانت تعيش في ذلك الجرَ الذي يحدد أطره الإمام عليٌّ بن أبي طالب (ع): *نُؤْثِرُّ بَيْنَ ثَقْلَيْنَ* العلم من معده، *وَادْحَرُّ ثَمَّ الخَيْرَ* من موضعه، وأخذتمُم الطريق من وضاحه، وسلكتُم الحقَّ من نهجه، لأنَّه جئتُ بكم أنسِيل، وبَدَأْتُ لكم الأعلام، وأضاءَتُ لكم الإسلام، وَمَعَالِيَّ فِيَّكُمْ عَائِلٌ، وَلَا ظُلْمٌ مِّنْكُمْ مُّسْلِمٌ وَلَا مَعْنَاهٌ^(٢).

وإذا آلتُ الأمْرُ إلى غيرِ المآل المنشود، وسلبتُ الإمامة السياسية من أهل البيت (ع)، فعلى المسلمين بعد التغاضي عن الواقع السالفة - أن يراجعوا أهل البيت ويدعنوا بإمامتهم العلمية والتربوية، وقيادتهم الروحية القرآنية الحالصة المثلثي - من جديد - لكي يعلموا ببعض وصايا النبي (ص) الرسالية في حقَّ أهل البيت - أعداء القرآن الكريم بنصِّ الحديث المتواتر - ويتوافقوا علىأخذِ العلم القرآني والعمل القرآني - الخالصين - من

صالِي لدرُك مغارِي الكتاب، كما جاء في أحاديث معتبرة متواترة، منها الحديث المشهور - بل المتواتر - المسمى بـ «حديث الثقلين»، ولقد رواه - علاوة على أكابرِ محدثي الشيعة - جمًّا غفيرًّا من علماء إخواننا أهل السنة ومحدثيهم الأعظم، في كتبهم المعتمدة والمشهورة، ولقد أورد العلامة الكبير، المجاهد المتواصل للجهاد، الرسالي النابه، السيد مير حامد حسين الهندي، طائفةً منهم، في سفره الكبير القائم، «عقبات الأنوار»، مع شيءٍ من ترجمتهم وتوثيقهم، والتسلُّفي بشأنِهم العلمي والحدِيثي. (للتوسيع راجع «الغدير في الكتاب والسنة» للعلامة الأميني).

والعلماء الثقات والحافظات الأثبات، الذين رواه حديث «الثقلين» (وفيهم من صحيحه، ومنهم مسلم، الذي اورده في صحيحه)، يزيدون على ١٨٥ عالماً، كما في كتاب العقبات، فراجعه. ولقد سمعت العلامة الكبير الأميني (صاحب «الغدير») يقول: أربَيت في تتبعاتي، العلماء والحافظ الزاويين لهذا الحديث، على هذا الجم الغفير بكثير ولذلك يصف المحققون هذا الحديث بـ «المتواتر». واليكم نص الحديث، بلفظ زيد بن أرقم الصحابي، فيما رواه الحافظ الكبير أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى:

«إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيَّكُمْ الثَّقْلَيْنِ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ، كِتَابُ اللَّهِ، حِبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَعَرَقٌ أَهْلُ بَيْتِي، فَانظُرُوا كَيْفَ تَخَلَّفُونِي فِيهَا، فَإِنَّهَا لَنْ يَتَرَقَّى^(٣) حَقَّ يَرْدَانِ عَلَيَّ الْحَوْضِ»^(٤).

وقال الحافظ العلامة المحقق، ابن حجر العسْكَري، بقصد هذا الحديث:

«سَمِّيَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) الْقُرْآنَ وَعَرْتَهُ... ثَقْلَيْنِ، لَأَنَّ الثَّقْلَيْنِ كُلُّ ثَقْلٍ خَطِيرٌ مَصْوُنٌ، وَهَذَا كَذَلِكَ، إِذَا كُلِّ مِنْهُمَا مَعْدُنٌ لِلْعِلُومِ الْلَّهُنَّىَّةِ وَالْإِسْرَارِ وَالْحُكْمِ الْعُلَيَّةِ وَالْحُكْمِ الْشُّرُعِيَّةِ، وَلَذَا حَثَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى الْإِقْتَدَاءِ وَالْتَّمَسُّكِ بِهِمْ وَالْتَّعْلِمِ مِنْهُمْ، وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

تعدداً في الصورة والمعنى، لكنهما لا يختفان في الواقع والتوجيه، بل متّحدان دوماً، ولذلك قال رسول الله ص: «عنهما إيماناً لِنْ يُنَزَّقَا، أَوْ لِنْ يُغَرَّقَا». معيناً بكلمة «لن» التأبديّة، إعلاماً لعدم انترافهما أبداً، فلا انتراف لهما في واقع الهدى والحقيقة الرسالية، وتجميد المحمدية البيضاء؛ فهما اللذان يصنّعان الفرد القراءاني والمجتمع القراءاني - إذا عمل على نهجهما اللاحب وصراطهما المستقيم، بعيداً عن الأذاء الخارج والهتاف المجرد - ويبنيان الأمة المحمدية كما شاء الله لها والرسول أصلـاً.

فالواجب إذا معرفة «الثقلين»، معرفة ناضجة ومعنفة، تسوق الناس إلى العكوف عليهما في العلم والعمل، في مختلف حقول الفكر والمعيشة، وفي جميع مناحي الحياة ومدارجها التكاملية ، حتى يتّاح صنع الفرد والمجتمع القراءانيـنـ.

ومن المعلوم أن لا سبيل إلى صنع الفرد القراءاني إلا بعد صنع المجتمع القراءاني، ولا سبيل إلى صنع المجتمع القراءاني إلا بعد صنع الفرد القراءاني، ولا سبيل إلى هذين الصنعين بشكل لائق وجدير، إلا بمعرفة القرآن الكريم نفسه، ومن الطرق الأساس المهمة للحصول على هذه المعرفة هو الرجوع إلى ما جاء في القرآن الكريم بهذا الصدد، وكذلك ما جاء عن النبي أصلـاً وأهل البيت (ع).

المصادر والهوامش

١- جـ، في كتاب «النبوتين» عن الأصحابي أنه قال: أتيت ذات يوم من سخّد خمسمائة ربة، فبيتَنـاـ في بعض سكّتها، إذ ضاع أغراضي جئت حرفـاـ، حتى قعودـتـ لهـ، متقدـمـ سيفـهـ وبيدهـ قوسـ، فدعـنـ وسـهـ وقالـتـ: منـ تـرـجـونـ؟ قـسـتـ منـ بيـنـ الأـحـسـعـ، قالـ: أنتـ الأـحـسـعـ؟ قـلـتـ: نـعـ، قالـ: ومنـ ذـيـنـ أـفـيـتـ؟ قـسـ: مـنـ مـوـضـعـ يـقـنـ فيـهـ كـلـاءـ تـرـحـمـ، قالـ: وـلـدـ حـمـنـ كـلـاءـ يـتـسـوـهـ لـادـمـيـوـنـ؟! قـلـتـ: نـعـ، قالـ: أـنـلـ عـلـىـ شـبـيـاـ مـنـهـ، قـلـتـ لهـ: أـنـلـ عـلـىـ قـعـودـكـ، فـتـرـأـ، وـلـتـدـنـ بـسـوـرـةـ تـدـرـيـاتـ، فـتـهـمـتـ لـهـ قولهـ تعالىـ: «وـفـيـ تـسـاءـ رـزـفـكـهـ وـمـتـ سـوـغـدـونـ»، قالـ: يـأـصـعـيـ أـهـنـ كـلـاءـ تـرـحـمـ؟ قـلـتـ: يـأـيـ وـشـدـيـ يـعـثـ مـحـمـدـ بـالـحـقـ لـهـ

أبواب القرآن الحقيقيـنـ، حتـىـ يـصـلـواـ إـلـىـ مـاـ رـضـيـ اللهـ تـعـالـىـ لـهـمـ وـالـرـسـوـلـ أـصــاـ، فـتـتـحـدـ أـمـةـ الـمـحـمـدـيـةـ أـمـنـ يـوـمـهـ الـحـاضـرـ، بـقـيـادـةـ أـهـلـ الـبـيـتـ الـعـلـمـيـةـ، تـحـتـ لـوـاءـ الـهـدـيـ الـقـرـاءـيـ، الـذـيـ يـنـشـدـ دـوـمـاـ هـدـاـةـ الـخـلـقـ إـلـىـ اللهـ تـعـالـىـ مـنـ أـهـلـ الـبـيـتـ الـطـاهـرـيـنـ (عـ)، فـيـقـشـعـ عـنـهـاـ هـذـاـ السـحـابـ الـمـبـرـكـ، مـنـ الـاـخـلـافـ وـالـتـخـلـفـ، وـالـلـوـقـوـعـ فـيـ سـيـطـرـةـ الـغـتـاةـ وـالـجـبارـيـنـ وـأـيـادـيـهـمـ الـتـيـ تـعـملـ لـحـابـهـمـ وـعـلـىـ حـسـابـ الـمـسـلـمـيـنـ...»

على ضوء ما تقدم نقول: يجب على المسلمين كافة أن يعتدوا بحديث «الثقلين» كل اعتداد، فإن محتواه لا معدى عنه، حيث يرسم لهم منهج الحياة الصحيحة الموصى بها، من الهدایة القراءانية الخالصة والكافلة - علمـاـ وـعـمـلـاـ - بشكل لا يقبل البديل بأـيـ وجهـ، ولا يخضع لأـيـ تسـاهـلـ عنـ أـهـلـ الـقـبـلـةـ فـيـ مـسـيرـهـاـ وـمـسـرـبـهـاـ، فالحاديـثـ يـقـولـ فـيـ صـرـاحـةـ وـحـسـمـ، إنـ الرـسـوـلـ الـخـاتـمـ قد أقام لهم منارينـ، القرآنـ والعترةـ، وهـمـ لاـ يـمـثـلـانـ فـيـ الـوـاقـعـ إـلـاـ مـنـارـاـ وـاحـدـاـ، أوـ كـالـوـجـهـيـنـ لـسـكـةـ وـاحـدـةـ، فـيـ الـمـرـادـ بـالـعـتـرـةـ - بـشـاهـدـةـ الـأـحـادـيـثـ الـكـثـيـرـةـ الـمـروـيـةـ فـيـ كـتـبـ الـفـرـيقـيـنـ، بـعـدـ الـعـقـلـ وـالـتـجـربـةـ فـيـ الـتـارـيـخـ الـإـسـلـامـيـ - وـبـتـصـرـيـحـاتـ جـمـعـ منـ أـكـابـرـ عـلـمـاءـ الـسـنـةـ وـمـحـدـثـيـهـ وـمـفـسـرـيـهـمـ (عـلـاـوـةـ عـلـىـ أـهـلـ الـبـيـتـ أـنـفـسـهـمـ، وـهـمـ الـصـادـقـوـنـ، وـأـعـاظـمـ الـشـيـعـةـ)ـ هـمـ عـلـىـ وـأـلـادـهـ الـأـنـمـةـ (عـ)، وـهـمـ الـعـلـمـاءـ بـالـقـرـآنـ بـالـعـلـمـ الـمـوـرـوـثـ عـنـ صـاحـبـ الـقـرـآنـ، وـهـمـ الـمـجـسـدـوـنـ لـهـ فـيـ الـعـلـمـ، وـهـمـ أـهـلـ الـذـكـرـ الـذـكـرـ إـنـ كـنـتـ لـاـ تـعـلـمـونـ».

فالحقيقة الباقيـةـ منـ النـبـيـ الـهـادـيـ أـصــاـ لـلـأـمـةـ الـمـهـدـيـةـ هيـ الـثـقـلـانـ، الـلـذـانـ يـتـفـرـقـانـ وـلـاـ يـفـرـقـانـ، فـلـاـ سـبـيلـ إـلـىـ الـهـدـاـيـةـ الـتـامـةـ الـإـلهـيـةـ إـلـاـ بـالـاسـتـقـاءـ مـنـهـمـ وـالـعـمـلـ عـلـىـ مـنـهـاـجـهـمـ، وـمـنـ الـلـاحـبـ أـنـ الرـجـوعـ إـلـىـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ - بـمـعـناـهـ - لـاـ يـمـثـلـ إـلـاـ بـالـرـجـوعـ إـلـيـهـمـ، لـأـنـ النـبـيـ الـأـكـرمـ نـفـسـهـ قدـ أـرـجـعـ أـلـآـةـ الـيـهـمـاـ فـيـ الـعـلـمـ وـالـعـمـلـ، وـهـمـاـ وـإـنـ

معرفة القرآن الكريم

«ع». ويعبر آخر، «أهـل الـذـكـر» هـ «مـتـحـصـصـوـاـ الـقـرـآنـ»، وـ«أـلـبـدـلـاءـةـ» مـعـرـفـةـ صـحـيـحةـ منـ تـرـجـوـعـ إـلـىـ «الـمـتـحـصـصـ».

تكلـامـهـ، أـلـزـلـهـ عـلـىـ نـيـهـ مـحـمـدـ. صـلـيـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـيـهـ - قـالـ فـيـ حـسـنـاتـ إـلهـ قـدـلـيـ نـاقـهـ فـتـحـرـهـ وـقـطـعـهـ بـجـمـعـهـ، وـقـالـ: أـلـئـيـ عـلـىـ سـخـرـتـهـ، فـقـرـفـنـاـهـ عـلـىـ مـنـ قـبـلـ وـدـيرـ ... - «كتـابـ الـثـوابـيـنـ»، مـؤـقـنـ لـدـيـنـ تـقـدـسـيـ، تـحـقـيقـ عـبـدـ اـلـقـادـرـ الـأـرـنـاقـوـضـ، طـبـعةـ بـبـرـوـتـ، دـارـ الـكـتبـ لـعـنـيـةـ ١٢٩٥ـ هـ، قـ ١٩٧٤ـ.

وـهـذـهـ حـكـاهـ عـجـبـةـ وـمـوـقـظـةـ حـدـاـ، لـأـهـلـهـ تـدـلـ عـلـىـ أـنـ لـنـاسـ حـيـثـ اـعـتـادـواـ تـلاـوـةـ كـلـامـ الرـحـمـنـ، غـفـلـاـ عـنـ عـظـمـةـ الـأـمـرـ، وـنـسـوـاـ أـنـ نـاسـوـاـ مـاـهـذـ الـأـمـرـ مـنـ اـهـمـيـةـ كـبـيرـةـ، بـعـيـنـ أـنـ يـتـزـلـلـ الرـحـمـنـ عـلـىـ الـأـدـمـيـنـ كـلـامـ وـأـنـجـحـ لـهـ أـنـ يـفـرـأـوـهـ، وـأـنـاـمـ مـاـهـ مـيـسـنـ بـذـنـكـ، كـأـغـرـيـ الـأـصـعـيـ لـجـنـبـ الـجـانـبـ ... - دـاعـجـ بـهـ يـسـتـعـدـ وـلـأـنـوـلـ كـلـامـ الرـحـمـنـ عـلـىـ الـإـنـسـانـ، ثـمـ يـنـصـهـ بـهـ إـلـىـ حـدـاـ يـنـخـرـلـ عـلـىـ نـاقـهـ فـيـ تـفـريـقـ - معـ مـاـعـيـهـ مـنـ لـهـهـ ... لـأـنـ يـسـمـعـهـ، وـبـعـدـ سـمـاعـهـ يـنـخـرـ لـنـاقـهـ يـنـفـرـهـ عـلـىـ تـعـابـرـيـنـ، جـلـ جـلـ مـعـشـقـةـ أـمـرـ تـوـحـيـيـ لـهـ تـغـلـلـ عـنـهـ، إـذـ صـارـتـ تـلاـوـةـ قـرـآنـ لـنـاـ عـادـةـ. وـقـرـنـيـ تـنـفـكـرـ فـيـ أـصـلـ الـأـمـرـ وـجـسـامـهـ.

(١) على حـدـ تـعبـيرـ الـإـمـامـ الصـدـقـ (عـ). بـصـدـ تـعـرـيفـ قـرـآنـ الـكـرـيمـ، «الـحـيـاةـ»، جـ ٢ـ، حـ ٧٢ـ. اـطـبـعـةـ الـخـامـسـةـ، ضـهـرـنـ، دـفـقـنـ نـسـخـ فـرـهـنـگـ مـلـائـمـیـ ١٢٩٣ـ هـ، قـ ١ـ.

(٢) رـجـعـ لـسـوـرـ الـأـنـبـيـاءـ بـأـيـاتـ ٢١ـ، ١٢٧ـ وـ١٢٦ـ وـ١٤٠ـ وـ١٤١ـ وـ١٣١ـ وـ١٣٢ـ وـ١٣٣ـ. ٣٤ـ وـ٣٨ـ وـ٤١ـ وـ٤٣ـ وـ٥١ـ وـ٥٤ـ وـ٦٢ـ وـ٦٣ـ وـ٦٤ـ وـ٦٥ـ وـ٦٦ـ وـ٦٧ـ وـ٦٨ـ وـ٦٩ـ وـ٧١ـ وـ٧٢ـ وـ٧٣ـ وـ٧٤ـ وـ٧٥ـ وـ٧٦ـ وـ٧٧ـ وـ٧٨ـ وـ٧٩ـ وـ٧٩ـ وـ٨٠ـ وـ٨١ـ وـ٨٢ـ وـ٨٣ـ وـ٨٤ـ. ٢٠ـ (٢٠ـ وـماـ بـعـدـهـ)؛ ٢١ـ (٢١ـ وـماـ بـعـدـهـ)؛ ٤٨ـ (٤٨ـ وـماـ بـعـدـهـ)؛ ٧١ـ (٧١ـ وـماـ بـعـدـهـ)؛ ٧٢ـ (٧٢ـ وـماـ بـعـدـهـ)؛ ١٣ـ (١٣ـ وـماـ بـعـدـهـ)؛ ٢٧ـ (٢٧ـ وـماـ بـعـدـهـ)؛ ٣٤ـ (٣٤ـ وـماـ بـعـدـهـ)؛ ٣٥ـ (٣٥ـ وـماـ بـعـدـهـ)؛ ٣٦ـ (٣٦ـ وـماـ بـعـدـهـ)؛ ٣٧ـ (٣٧ـ وـماـ بـعـدـهـ).

(٣) «سـورـةـ حـمـ»، ٣٠ـ.

(٤) «سـورـةـ حـمـ»، ٢١ـ.

(٥) وفي عـضـ أـنـفـاطـ الـحـدـيـثـ: «لـنـ يـفـرـقـ قـاـلـ».

(٦) رـاجـعـ «الـتـبـيـقـاتـ»، جـ ١ـ، مـنـ اـلـجـزـاءـ «حـدـيـثـ الشـفـقـيـنـ»، طـبـعـ صـفـهـانـ، «الـمـؤـسـسـةـ لـشـفـقـةـ الـمـخـصـصـاتـ»، ١٤٨٠ـ هـ، قـ ١ـ، بـعـرـيـهـ، نـعـامـ نـفـاضـ لـسـبـدـ عـلـىـ الـمـلـاـنـ.

(٧) مصدرـ لـذـكـورـ، حـ ٦٦٥ـ، ٦٦٧ـ. وـلـجـدـ هـنـاكـ كـلـمـ «عـلـامـ الـخـدـيـثـينـ وـقـاتـلـهـ منـ أـهـلـ سـيـسـةـ، حـوـلـ سـنـ الـحـدـيـثـ وـصـحـيـهـ وـسـنـيـارـ»، (٩ـ) «الـلـكـافـيـ»، جـ ٨ـ، حـ ٣٢ـ. «مسـنـدـ رـمـيـقـ مـهـجـ نـيلـانـ»، لـكـافـيـ الـعـفـاءـ، حـ ٣١ـ، «الـحـيـاةـ»، جـ ٢ـ، حـ ٤٩ـ.

(١٠) «سـورـةـ الـنـحـلـ»، ٤ـ؛ «سـورـةـ الـأـنـبـيـاءـ»، ٧ـ. تـقـدـ جـاءـ فـيـ تـقـلـلـ أـنـ «أـهـلـ الـذـكـرـ» هـ «أـلـهـ لـعـصـومـونـ»، وـيـدـ عـلـيـهـ عـقـلـ أـيـضـ، لـأـنـهـ لاـ يمكنـ أـنـ يـرـادـ بـأـهـلـ الـذـكـرـ كـلـ عـامـ، بـإـذـنـ الـعـبـدـ، مـخـتـلـفـونـ فـيـ الـأـرـاءـ وـالـأـجـاـهـاتـ، وـلـقـرـآنـ الـكـرـيمـ كـتـابـ لـأـرـبـيبـ فـيهـ وـلـأـ خـتـلـافـ، فـلـابـدـ مـنـ أـنـ يـكـوـنـ الـمـسـؤـونـ عـنـهـ أـيـضـاـ مـنـ لـأـ يـخـتـلـفـونـ، وـلـيـسـوـ إـلـىـ الـعـصـومـينـ